أهمية الألفاظ في شعر البياتي

د/ فاروق . س
الأستاذ المساعد
كلية م س م كايمكولم

عبد الوهاب البياتي

ويعتبر الشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي واحدا من أبرز الشعراء الحداثيين في الوطن العربي. عبد الوهاب البياتي الشاعر العراقي المعاصر المعروف بـ'أبو علي' وهو الرائد حركة الشعر الحر. وكان هذا الشاعر العبقري واحدا من أبرز الوجوه المجددة في المشهد الشعري العراقي والعربي خاصة في فترة الخمسينات، وكان عبد الوهاب محمد البياتي شاعرا مبدعا في فنه وتجاوز المخططات التقليدية وأنماطها ويعتبره على ذلك شاعر مؤسس في حركة الشعر المعاصر وكذا هو ساهم مساهمة فعالة في التجديد الشعرية حسب التعيير الفكرية في العصر الحديث

أهمية الألفاظ في شعر البياتي

وبدأ التجريب الحقيقي عنده في أقوال، إحدى قصائد ديوان "كلمات لا تموت" الذي صدر عام 1960م أي بعد عشر سنوات من ظهور ديوانه الأول، بحضور شعري وسياق لغوي يختلف عما الفتاه لديه، فهذه القصيدة تخلصت من أي عائق لغوي يمكن ان نمسك بزمام المعنى فيشد من وثاقه ويحول دون انطلاقه، يقول في أبياته:

"أجنحة الشاعر في بلادنا جليد
تذوب ان أطارت إلى بعيد
قبعة الثلج على صنّين
تحرقها الشمس
فلا يبقى سوى الرماد
يكفّن الحقول
ويغمر الوديان بالذهول
من قلة الخيل
شدّوا على الكلاب

سروجهم ونبحوا السحاب

...ما أوحش الحياة
ما أبعد الطريق
وما أقل الزاد "[1]

البياتي يؤكد استمرار التجريب لديه تطلعا إلى تجوز دائم وتجدد في الشعر وخشية من بقاء في مستوي معين لا يستطيع أن يتعداه، فاللغة هاجس البياتي الأول، ولا نفصل بينها وبين المضمون، ومن همومه الشعرية البحث الدائم عن علاقات جديدة للكلمات. ونرى انه هنا لا يستطيع أن يكون صاحب إبداعي خاص ولا جملة شعرية متميزة التي ينفرد ويتميز من الآخر. و يحاول أن يخترق العلاقات المألوفة بين الكلمات، ويبحث عن النقيض والتضاد واللامعقول في تلك العلاقات وصولا إلى الجملة الشعرية الخاصة، ولا يتأتى لأي شاعر ان يخالف المألوف والانفراد، أو يجانب ما اعتاده الناس ويتميز.

وموجودا هناك طائر يلقي إليه بوردة محترقة وتحترق الورود وتسقط على ذراعي رجل يلتف بحبل المشنقة ثم تصير تلك الوردة طفلة ثم تصبح أنثي عاشقة فيقول عن هذا التحويل:

"طائر غرد عبر النافذة
رف في الظلمة والنور وحياني
وأهدى وردة مخترقه
سقطت فوق ذراعي بضة مرتجفة
وأنا التف في نومي بحبل المشنقة
صارت الطفلة أنثى عاشقة
تتشهى قمر الثلج ونار الصاعقة [2]

كذلك، يلقي بعدته الشعرية على كتفيه ويجول في الدنيا ويرى في قيام اقتباس من آمال عظيمة إن افتقدها الحاضر فسيدركها المستقبل، وقلق الشاعر وغربته الروحية وهمومه لا بدفعه إلى الانعزال والتشاؤم ولكن إلى احتراق الحياة فيسيل شعر هائلا يقول:

"لون عينيك: وميض البرق في أسوار بابلْ
وشعوب وقبائلْ
غزت العالم لم كشفت بابل أسرار النجوم

[1] تجد القصيدة كاملة في ديوانه، م 1 ، ص 514 - 518 ، وتضمنت مثلا شعبيا معروفا .
[2] المصدر السابق ، ص 538 .

لون عينيك : سهوب حطمت فيها جيوش الفقراءْ
عالم السطوة والإرهاب باسم الكلمةْ

وغزت أرض الأساطير وشطآن العصور المظلمةْ
طفلة أنت وأنثى واعدةْ
وُلدتْ من زبد البحر ومن نار الشموس الخالدةْ
كالما ماتت بعصر ، بُعثتْ
قامت من الموت وعادت للظهورْ
أنت عنقاءُ الحضارات
وأنثى سارق النيران في كل العصورْ" [3]

والقصائد لا تفتقر إلى حدث، ولعل الحدث من أبرز سماتها، والبياتي صائد تجارب شعرية ومضامين وعلقه آلة تصوير لاقطة في حالة تأهب دائم، أية التماعة فيه أو أية صورة تأتلق أمام ناظريه وتستهويه تتحول إلى كلمات، لا يقتصر الشعر عنده على الشعر، فالعالم مليء به في كل مكان، وعلى الشاعر أن يعرف كيف يشرح قصائده بروائع هذه الدنيا وعنباتها.

يتجول البياتي ويقطع البحار والمحيطات والأحقاب والدهور ويبحث عن 'لارا' في المقاهي والمحطات والأرصفة وفي الكتب والمخطوطات والمتاحف وبين الآثار وفوق الأقمار السبعة وفي اللوفر وتحت أهداب عيون الملكات الحزينة

ويكشف عنها قناع الموت الذهني فلا يعرف سرها حتى الشيطان. ومن نبذة شعره:

"لارا رحلتْ : لارا انتحرت . قال البواب
وقالت جارتها ، وانخرطت ببكاء حارْ
قالت أخرى لا يدري أحد حتى الشيطان.
ارمي قنبلة تحت قطار الليل المشحون بأوراق
خريف في ذاكرتي ، أزحف بين الموعى،
اتلمس دربي في أوحار حقول لم تحرث،

[3] المصدر السابق ، ص 444، 445.

أستنجد بالحرس الليلى لأوقف في ذاكرتي
هذا الحب المفترس الأعمى، هذا النور الأسود.
محموما ابكي تحت المطر المتساقط أطلق
في الفجر على نفسي النارْ."[4]

ابتدأت رحلة فكر في خيال لا يسعه واقع، وحل لا يفسره منطق، وبطلع لا يبرره تاريخ، وزمن تتضاءل، يخبو ويخفت، ولارا البياتي تحيل فينوس [5]ظلا باهتا وتعيد ساحرة بيجماليون إلى الحجر، وتلعن العاشق والمعشوق ، حتى أن كان حلاجا مشنوقا على باب الله، يتعجل الفرح الموهوم، ولأنضم هناك عن الفجعة التي تحملها 'لارا' وكانت عودته إلى الأرض بركة وعطاءا ونماء وربيعا دائما نغيم العالم.

المصادروالمراجع

1.أبو غالي، مختار، المدينة في الشعر العربي المعاصر، عالم المعرفة الكويت نيسان، 1995.
(Abu Ghali, Mukhtar, *The City in Contemporary Arabic Poetry*, Alam Al-Ma'rifah, Kuwait, April. 1995)
2. الورقي، السعيد، الموقف من المدينة في الشعر العربي المعاصر، دار المعرفة إسكندرية، 1991.
(Al-Warqi, Al-Saeed, *The Stance on the City in Contemporary Arabic Poetry*, Dar Al-Ma'rifah, Alexandria, 1991)
3. بول ايلوار مغني الحب والحرية - ترجمة مع أحمد مرسي - بيروت 1957.
(Paul Éluard, Singer of Love and Freedom - translated with Ahmed Morsi - Beirut, 1957)
4. كلمات لا تموت، عبد الوهاب البياتي(شعر)، بيروت، 1960.
(.Words That Do Not Die*, Abdul Wahab Al-Bayati (poetry), Beirut, 1960)
5. محاكمة في نيسابور، عبد الوهاب البياتي(مسرحية)، الطبعة الأولى، بيروت 1963.
(A Trial in Nishapur*, Abdul Wahab Al-Bayati (play), first edition, Beirut, 1963.)
6. عباس، إحسان، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، دار الشروق،ط- 1، عمان، 1992.
(Abbas, Ihsan, Trends in Contemporary Arabic Poetry, Dar Al-Shorouk, ed.1, Amman, 1992)

[4] من أجل الحب ديوان " كلمات لا تموت "ص، 275 دار العودة بيروت 1995م

[5]فينوس آلهة الحب والجمال لدي الرومان واسمها في اليونانية الآلهة أفروديت. اعتقد الرومان أن الإلهة فينوس ولدت في البحر وجاءت إلى شواطئ قبرص في محارة.

7. Abu Ali Mukhtar, The City in Contemporary Arabic Poetry, Alam Ma'riffa, ed.1, April 1995.

8. Sayeed al Waraki ,The Position on the City in Contemporary Arabic Poetry, Darul Ma'riffa , ed.1, Alexandria, 1991.

9. Paul Éluard, The Singer of Love and Freedom - translated with Ahamed Murzi, ed. 1, Beirut 1957.

10. Words That Do Not Die, عبد الوهاب البياتي (Poetry), ed. 1, Beirut, 1960.